مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 874 - 895 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

العرض الفني للقصص القرآني

The Artistic Presentation of Quranic Stories

عبد القادر بن طيب[*]، محمد العرابي[2]

Abdelkader Bentayeb[1], Mohammed Larabi[2]

مخبر الدراسات الصحراوية جامعة طاهري محمد ببشار/ الجزائر

Laboratory of Saharan Studies
University of Tahri Mohammed Béchar – Algeria
kada_kader75@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2020/04/18	تاريخ القبول:2020/08/29	تاريخ النشر: 2020/12/25

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى عرض العناصر الفنية للقصص القرآني، وذلك من خلال الكشف عن مميزات هذه العناصر الفنية، كما هدفت إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها: إظهار الجانب الجمالي الآسر في القصص القرآني، وإثبات الإعجاز في عرض القصة القرآنية، وتأكيد دورها في الوعظ والاعتبار.

استخدم الباحث المنهج الاستنباطي للوقوف على جمالية القصة القرآنية، وإظهار عنصر التشويق والإثارة فيها، والإعجاز في نقل العواطف والقيم الأخلاقية من خلال التعبير القرآني.

وخلصت الدراسة إلى أن القصة القرآنية لها دلالة دينية، كما لها خصائص فنية، ووصلت إلى مميزات جمالية وإبداعية في التصوير، وتزداد عناصرها بيانا وفنا كلما أعدنا قراءتها.

الكلمات المفتاح: جمالية القصص القرآني؛ خصائص القصة القرآنية؛

Abstract :

This study aims at presenting the artistic elements of the Quranic stories by revealing the advantages of these artistic elements. It aims, also, at achieving a set of goals including: showing the captivating aesthetic aspect in the Quranic stories, proving the miracles in telling the Qur'anic story, and affirming its role in preaching and contemplation. The researcher used the deductive analytical method in the artistic presentation of the Quranic stories, showing the element of suspense and excitement in it, and the miracle of transmitting emotions through the Quranic expression. The study concluded that the Quranic story is unique in terms of artistic characteristics and reached the pinnacle of beauty and creativity in figuration.

[*] عبد القادر بن طيب bentayeb.abdelkader@univ-bechar.dz

Keywords: Aesthetic Quranic stories; Characteristics of the Quranic story.

تمهيد:

عرف الإنسان أهمية القصة في حياته منذ زمن طويل لما لها من أغرض وأسلوب يسحر النفوس، فسحرها قديم قدم البشرية، وللقصة أهمية كبرى «لأنها تتميز بسرعة نفاذها، وقوة تأثيرها، واستمرار أثرها على المتلقي إذا ما قورنت بالكلام العادي.»[1] وتعد القصة من أبرز الأساليب والوسائل التي استعملها القرآن الكريم لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وتحقيق أهدافه ومقاصده،[2] يقول الله تعالى ﴿ لَقَد كَان فِي قَصصِهِم عِبرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبابِ مَا كَان حدِيثاً يفْتَرى ولَكِن تَصدِيقَ الَّذِي بين يديهِ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وهُدى ورَحْمَةً لِّقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف الآية 111]، فالقصة القرآنية مثل الصور التي يرسمها للبعث، وقدرة الله، وللنعيم والعذاب، وشأن الأمثال والأدلة التي يسوقها، ومثل الشرائع وغير ذلك من الموضوعات، «فتعريف القصة الفني ينطبق على القصص القرآنية، إلا أن القصة القرآنية تمتاز بأنها جاءت لتحقيق غرض ديني»[3] وهو تعبيد الناس لله تعالى، شأنها في ذلك شأن القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم بخاصيته الرائعة كان مرجعاً لكل باحث عن المعرفة الكاملة، ولقد درس كثير من الباحثين القصص القرآني للوصول إلى الحقيقة، واستنباط العبر، وألفوا كتبا عديدة في الإعجاز القرآني، ومن الذين بحثوا في موضوع القصص القرآني خاصة الدكتور محمد خلف الله في كتابه " الفن القصصي في القرآن "، والسيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القصص القرآني" وغيرهم كثير، وكان لهؤلاء الكتّاب دوراً هاماً في تحديد مميزات هذه القصة القرآنية، وجاءت دراستي كاستخلاص لما قدمه من سبقني في دراسة هذا الموضوع.

آثرت أن يكون بحثي دراسة استنباطية لفنية القصة القرآنية من خلال الوقوف على العناصر المشكلة لوحدتها المتكاملة، وتنطلق دراستي من إشكالية البحث عن المميزات الفنية للقصة القرآنية، إذ أبحث في غرضها الفني، وتنويع طريقة العرض، وإصابتها في نقل العواطف والقيم، وغيرها من الأبعاد الفنية والدينية للقصص القرآني.

1- مصطلحات الدراسة:

أ- تعريف الفن: أورد باحاذق في دراسته ما ذكرته بعض كتب المعاجم عن الفن منها: قولنا: «الرجل يفنِّن أي يشتق في فن بعد فن، ورجل مِفنٌّ : يأتي بالعجائب، وأفتنَّ الرجل: أخذ في فنون القول، وزاد الفيروز آبادي في القاموس المحيط فقال: والفنُّ: الكلام المشبج، أما صاحب المعجم الوسيط: فيعرف الفن بأنه جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة.»[4]

إذا أردنا أن نعرف ما جاء في تعريفات الأدباء لمادة الفن، نجدها كلها تدور حول الجمال، والدقة، وحسن العرض والأداء.[5] ويبين ماهر كمال أن الصلة التي تربط كلا من الفن والجمال ذلك التمثيل الذي يذكره الأستاذ جود عند محاولته تفسير الصلة بين الناحية الذاتية والناحية الموضوعية في الجمال، إذ شبه الفن «بالنافذة التي يمكن أن نطل منها على حقيقة الجمال.»[6] وهكذا نجد الفن يحمل معنى الابداع، وهو الجمال والحسن والطهر والنقاء .

مفهوم التصوير الفني: فهو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، حيث يعبر بالصورة المتخيلة عن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية مجسمة مرئية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية أو الحادث المروي، إنما هي «ألفاظ جامدة لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن.»[7] يقول الله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية 03] يتضح من الآية أن الله عز وجل يصور بأسلوب قصصي لرسوله صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من القرآن النموذج الانساني، ويبين له بالتصوير الفني ما كان غافلا عنه من قبل، كما يرقى بخيال المتلقي للقصص القرآني إلى التصوير الحي لهذه المشاهد التي بينها العزيز العليم أحسن البيان.

ب- التعريف اللغوي للقصص القرآني:

أورد عبد الرحيم أيت عبد المالك تعارف لغوية للقصص وهي: « القصص في اللغة من قص، ولها معان كثيرة تدور في مجملها حول التتبع أو البيان ففي قولنا قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة القصص، الآية 11]، أي: اتبعي أثره، وقصصاً في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [سورة الكهف، الآية 64]، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه فيقصان الأثر، والقص: اتباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصًا في إثر فلان وقصًا، وذلك

إذا اقتص أثره، وقيل: للقاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا، وقال أبو زيد: تقصصت كلام فلان، أي: حفظته، والقَصَص بالفتح: الخبر المقصوص وضع موضع المصدر... والقص: البيان.»[8] يتضح لنا بأن القصص هو القص أي اتباع الأثر أو الخبر و ترابط الكلام، ومنه نعتبر القصص سرد للأحداث، لكن ما كان من محض الخيال فلا يطلق عليه قصص بل أساطير، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية 5]، أراد المشركون تشويه وإبطال القصص القرآنية، فأطلقوا عليها أساطير الأولين.[9]

ج- التعريف الاصطلاحي للقصة: «هي الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضا»[10] وهذا الإخبار عن القضية يكون على شكل حدت و لهذا « تعد مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وتتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بالعناصر الفنية للقصة، وبشخصيات إنسانية مختلفة»[11]، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأّثر والتأثير، لكن القصة في القرآن تختلف عن القصص الأخرى التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، فهي ليست لوناً من ألوان القصة بالمعني المتواضع عليه، لأن القصة في القرآن ليست عملاً فنيًا مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما أنها وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة التي تهدف إلى تحقيق أغراضه الدينية.

وتعرف القصة القرآنية اصطلاحا بأنها: مجموعة من الأحداث الواقعية، السابقة زمانًا، التي تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث تتعّلق بشخصيات التي يكون دورها دافعًا للتأّثر والتأثير في الخير اقتداءً أو في الشر ابتعادًا، وكانت أسلوبا من أساليب الدعوة، يُخبرنا الله تعالى عنها للاعتبار والاتعاظ.[12] فالقصص القرآني هو:«الأخبار التي أخبر بها ربنا في القرآن الكريم عن الأمم السابقة بقصد أخذ العبرة، ولتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من المؤمنين،»[13] قال تعالى:﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود، الآية 120]، ومن هنا جاءت القصة في القرآن الكريم تحمل رسالة الدعوة إلى الإسلام، وتعرض مبادئه، وتثبيتها.

2- أنواع القصص في القرآن:

نتج عن اختلف العلماء في تقسيم القصص القرآن أنواع عدة، منها:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن تفاصل النبوة كدعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وتتبعت تطور مراحل الدعوة وما آلا إليه أتباعهم والمكذبين لهم، كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا الصلاة والسلام .

النوع الثاني : قصص قرآنية تتضمن أحداث غابرة، ولها علاقة بأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث : قصص وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتضمن المعجزات التي أيده الله بها، وتتعلق بالحوادث التي وقعت له مع أصحابه وقومه، والمشركين، كغزوة بدر وأُحد، وغزوة حنين وتبوك، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك من القصص.[14]

النوع الرابع: القصة الغيبية «وهي التي تتناول أحداثا ووقائع من صميم الغيب مثل مشاهد الآخرة، فهي وإن كانت للإنسان غيبًا مجهولًا، فهي في علم الله تعالى حاضر مشهود. »[15]

فقد ظهر أيضاً نوعان من القصة، وهي القصيرة التي تحتوي على بعض عناصر القصة مثل قصة النمل وقصة الهدهد أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها ترد قصيرة، والطويلة التي تكون مجزأة ثم تتجمع في موضع واحد كقصة نوح عليه السلام، أو تسرد مرة واحدة في موضع واحد كقصة يوسف عليه السلام.[16]

3– أهمية القصة القرآنية:

للقصة أهمية كبيرة في « بناء شخصية الفرد والمجتمع، وتنشئة الأفراد وتربيتهم لأنهم بحاجة إلى ما يساعدهم على تحقيق النمو السليم المتكامل في مختلف النواحي، كما أنهم بحاجة إلى بيئة تهيئ لهم جوا اجتماعيا وثقافيا ومواقف مناسبة للخبرة»[17]، والقصة القرآنية تستطيع أن تهيئ البيئة المطلوبة والمواقف المناسبة للخبرة بعيدا عن الوعظ المباشر.

كما تساعد القصة القرآنية على تقريب المفاهيم المجردة التي تهتم بها التربية و يحرص عليها ديننا الاسلامي الحنيف، فتبرزها في صورة حسية مجسدة، وخصوصا في مفاهيم العقيدة الاسلامية، والخلق السليم بأسلوب قصصي يتناسب مع المستويات الادراكية للفرد بطريقة متدرجة، ونأخذ

من القرآن الكريم الذي أحتوى على قصص كثيرة أستخدمها للترهيب والترغيب، وإعطاء القدوة والمثل الأعلى، وتنمية القيم والأخلاق الحميدة.

4- الغرض الفني للقصة القرآنية:

أخبر الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين.... إلي غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة، فالقصص القرآني صفوة لكل ما عرفه الإنسان من الفن القصصي، «ذلكم لأن الله تبارك وتعالي اختار ما يقصه على نبيه عليه وآله الصلاة والسلام، قال سبحانه: ﴿ ولَقَد أَرسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيكَ وَمِنهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيكَ ﴾ [سورة غافر الآية 78]،والذين قص الله من أنبائهم على نبيه عليه وآله الصلاة والسلام كان قصصا مختارا.» [18]

ولقد ظهر آثار خضوع القصة القرآنية في جميع عناصرها لمقتضى الأغراض الدينية، ووفائها بهذا الغرض الديني في إبلاغ هذه الدعوة، إذ «لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، ولا سيما خاصية القرآن الكبرى في التعبير، وهي التصوير.» [19] أما من حيث النسق الفني، فإن كل قصة في كتاب الله تعالى لها تصميم يضع الصورة الفنية في قمة الإبداع، فقصة أهل الكهف مثلا يتضح فيها الغرض الديني والنسق الفني، فقد جاء في تصوير حالة النوم التي كان عليها أصحاب الكهف عظمة الخالق، و ازالت الشكوك التي انتابت المشركين حول نبوءة رسول الله محمد صل الله عليه وسلم، و إبعاد التساؤلات القائمة لدى كل متلقي للقصة، وخصوصا طريقة نومهم كل هذه المدة، فيصف الله تعالى نوم أهل الكهف بصورة هادئة من دون تعرضهم للأذى والضرر، فقد هيأ لهم عدة أسباب منها: إيقاف حاسة السمع وذلك في قوله عز وجل: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [سورة الكهف، الآية 11] ، لأن حاسة السمع في الأذن هي الحاسة الوحيدة التي تعمل أثناء النوم، وتربط الإنسان بعالمه الخارجي، وتعرض أجسادهم في الكهف للشمس بصورة متوازنة ومعتدلة، وجود فجوة في الكهف تساعد على تعريض الكهف إلى جو مثالي، وذلك في قولة تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمس إذا طَلَعتْ تَزاورُ عن كهْفِهِمَ ذاتَ الْيَمين وإذا غرَبتْ تَقْرضُهُمْ ذاتَ الشِّمال وَهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾ [سورة الكهف، الآية 17]، ويصيبهم منها ما تحتاجه أجسادهم فقط، والتقليب المستمر أثناء نومهم كما في قولة تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا

وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [سورة الكهف، الآية 18] ، حتى لا تتعفن أجسادهم في الأرض، وكذالك وجود الكلب في باب الكهف دور في حمايتهم، وقد جعلهم في حالة مرعبة جدا فكل من يطلع عليهم يهرب من مشهدهم، و يهلع من حالتهم الغريبة، كما في قوله تعالى" ﴿ وَكَلْبُهُمْ باسِط ذِراعِيْهِ بالْوَصيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيتَ مِنْهُمْ فِراراً و لَمِلْئتَ مِنْهُمَ رُعْباَ ﴾ [سورة الكهف، الآية 18] ، فجمالية هذا العرض الفني، وتصوير حدث نوم أصحاب الكهف، كان كافياً للإجابة عن تساؤلات المتلقي للقصة، وبالتالي تحقيق الغرض الديني من ذكرها في القرآن الكريم.

لا يسعنا المقام هنا للوقوف على جميع قضايا الغرض الفني، إنما نكتفي بالإشارة إلى اختيار " فضل حسن عباس" (2010) قصة آدم في قضية الغرض الفني، مثل مجيء قصة آدم عليه السلام مع غيرها من القصص، « السور التي ذكرت فيها قصة آدم يذكر فيها بعض قصص الأنبياء عليهم السلام، يظهر ذلك جليا في سورة (ص)، والأعراف، والحجر، وطه، والكهف والبقرة.»[20]، إلا أن سورة الإسراء ذكرت فيها قصة آدم عليه السلام ولم يذكر فيها قصص آخر وهي السورة الوحيدة التي أشير فيها فقط لقصة موسى عليه السلام في آخر السورة، ومن بديع نظم القرآن وأسلوبه أن نجد الفصل بين قصة آدم عليه السلام والقصص الأخرى يطول ويقصر، نتيجة لقرب هذا الغرض أو بعده.

إن التعبير القرآني يجمع بين العناصر الفنية للقصة، والغرض الديني فيما يعرضه من الصور، بل أنه يجعل الجمال الفني أسلوب للتأثير الوجداني، لأن الفن والدين صنوان في ذات المتلقي، وإدراك الجمال الفني يجعل الناظر في استعداد لتلقي التأثير الديني.[21]

إن القصة القرآنية مترفعة في مستواها الفني، ولها أغراض دينية بالغة في الوعظ، لأنها متميزة في غايتها، وأسرارها،وتفي بالغرض الذي سيقت من أجله.

5– عناصر القصة: اشتمل القصة القرآنية على عناصر فنية أساسية، وهذه المجموعة تتكامل فيما بينها لتكون الشكل الفني النهائي لها، منها:

5–1 الموضوع: إن الموضوع هو:« الهدف من القصة، والأساس الذي يقوم عليه البناء الفني، وتدور الفكرة أو الموضوع حول حدث، وتأخذ القصة اسم هذا الحدث أو الفكرة الغالبة عليها

مثل القصة الدينية، فقد تشمل القصة على بعض الأحداث وتتخللها بعض الافكار الثانوية إلا أنها لا تسمى بها.

5-2 الأحداث: يرى أحمد حسن أن الاحداث هي: مجموعة التصرفات أو الوقائع التي تقوم بها شخصيات القصة، وتدور حول الفكرة العامة للقصة من بدايتها حتى نهايتها في نسيج متكامل»[22]، ويتمثل اهتمام القصة القرآنية في انتقاء الأحداث بما يخدم الفكرة الرئيسية للقصة، مصورة ذلك في جو نفسي ملائم يثير الانفعال، وسرد مشاهد حية متفاعلة، كما يتضح ذلك في:

أ. الوصف الدقيق المصور: من جمالية هذا التصوير الدقيق مثلا وصف نوح عليه السلام لإعراض قومه عن دعوته، كما في قوله تعالى: ﴿ قالَ ربِّ إنِّي دَعَوتُ قَومِي لَيْلاً ونَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدهُمْ دُعَائِي إلَّا فِرَارًا (6) وَإنِّي كُلَّمَا دَعَوتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [سورة نوح الآية 5-6- 7].

ب. المعاني المعبرة عن الانفعالات: مثل المشاعر، والأحوال النفسية،كما ورد على لسان مريم في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إن كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 18].

ج. الصراع: ويتمثل في إبراز الصراع المنسجم مع المغزى العام للقصة سواء أكان هذا الصراع ماديًا كصراع موسى عليه السلام مع السحرة، أم نفسيًا كموقف إبراهيم عليه السلام من الكواكب والقمر والشمس.[23]

5-3 الشخصية: الشخصية في القصة هي:« التي تقوم بالأحداث والوقائع»[24] والأشخاص في القصة القرآنية على أشكال متعدد، « و لا تذكر الشخصية إلاّ في مواطن التعبير عن معان معينة دالة على أحداث القصة القرآنية»[25]، ويصور القرآن الكريم الشخصية بأسلوب يمتاز بدقة التعبير في نقل عواطفها، وصدق ما يتردد بين خلجات نفسها.

وإنه لمن المفيد أن نأخذ نماذج للشخصيات القرآنية، ولتكن مثلا شخصية أم موسى عليه السلام الصبورة والشجاعة التي ألقت ابنها في اليم دون خوف، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص الآية 07] وشخصية موسى نفسه التي تظهر بصورة الزعيم، وحدَّة الطبع، والرجل القوي الذي واجه السامري، قال تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [سورة طه الآية 97]، وشخصية سليمان عليه السلام القيادية والمنضبطة في حكمه

والصارمة حتى مع جيشه من الحيوانات، تظهر لنا في قول الله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [سورة النمل الآية 20]، وهناك شخصيات أخرى غير بشرية كالملائكة والجن ... وغيرهم.

نرى من خلال هذه الاشارة أن الشخصية في بعض قصص القرآن كانت محورا تدور حوله أحداثها فتؤثر فيها وتتأثر بها، لأن التعبير القرآني اهتم بالكشف عن مزاجها الداخلي ودوافعها الحقيقية.

5-4 الحبكة: تحبك القصة في ثلاثة عناصر هي: المقدمة، العقدة والحل:

– المرحلة الأولى: المقدمة وتشتمل على « تمهيد قصير للفكرة التي تضمنتها القصة، وهي المدخل الذي يشعر القارئ بما سيأتي بعده، وتبدأ غالية بالومضة مع ذكر شخصيات القصة وبعض إشارات الأحداث المقبلة.»[26]

– المرحلة الثانية: العقدة وهي:« المشكلة التي تظهر في أثناء القصة وتحتاج إلى حل، أو الموقف الغامض الذي يحتاج إلى تفسير، وهي تثير في نفس المتلقي الرغبة في كشف الموقف الغامض، ويصل فيه المتلقي إلى قمة نشاطه الذهني، وتعتبر العقدة تطويرا لما ورد في المقدمة وتتميز بالحركة والقوة والنشاط والمفاجآت»[27]، حينما تشتد العقدة، وتصبح بؤرة في القصة، وتظهر المشكلة في أحداثها حتى تحار النفس في حقيقتها، يأتي الحل الذي يدفع خفاياها، ويريح نفسية القارئ.[28]
فالعقدة في القصص القرآني تتنوع في حبكها وحلولها:

- من القصص ما تتوالى فيها العقد وتأتي الحلول كلها في نهاية القصة، وقد يكون العكس من ذلك، تتوالى فيها العقدة، ويأتي الحل بعد العقدة مباشرة، فتحل أولا بأول،كما جاءت في قصة السيدة مريم البتول حين اتخذت من دون أهلها حجابا فتفاجأ بالروح الأمين في هيئة رجل، فتقول البتول: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كنتَ تَقِيًا ﴾ [سورة مريم الآية 17]، ولكن العقدة تحل والموقف لم يطل فقد أخبرها قائلا ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 18]، ثم تأتي العقدة الثانية إذ جاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴿ قالتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هذا وكنتُ نِسيًّا مَّنسِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 23]، ويأتي الحل من النبي عيسى عليه السلام ﴿ فَنَادَاهَا من تَحتِهَا أَلَّا تَحزَنِي قد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 24]، فتتوالى العقد وحلولها إلى أن أتت به قومها تحمله فأشارت إليه ليسألوه عن سرها ﴿ قَالوا كَيفَ نُكَلِّمُ من كان

في المهْدِ صَبِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 30] ويأتي الحل مرة أخرى ﴿ قال إنِّي عبدُ اللهِ، آتَاني الكِتَابَ، وجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية 29][29]؛ يتضح لنا أن حل العقدة مباشرة تستدعيه هذه المواقف.

- أما القصص التي نجد فيها توالي العقد وتشابكها على أن تؤجل حلولها إلى نهاية سردها فتأتي مجتمعة دفعة واحدة، كقصة موسي مع العبد الصالح، إذ جاءت فيها العقد مجتمعة، وجاءت عقب ذلك حلولها دفعة واحدة في سورة الكهف ﴿ أَخَرَقتَها لِتُغرِقَ أَهْلَهَا لقَد جِئْتَ شَيئاً إِمْرًا ﴾ [سورة الكهف الآية 74] ثم يقتل الغلام و هذا أمر أشد إثارة من الأول ﴿أَقَتَلتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيرِ نَفسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكُرًا ﴾ [سورة الكهف الآية 71] وفي إصلاح الجدار ﴿ لَو شِئْتَ لَاتَّخَذتَ عليهِ أَجْرًا ﴾ [سورة الكهف الآية 77] إذ نحن وموسى في منتهى الشوق لمعرفة حل هذه العقد الثلاث يأتي الحل ﴿ أَمَّا السَّفينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحرِ فَأَرَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا وكَانَ وَرَائَهُم مَلِكٌ يَأخُذُ كُلَ سَفِينَةٍ غَصبًا ﴾ [سورة الكهف الآية 79] ﴿ أَمَّا الغُلامُ فكان أَبَواهُ مُؤمِنينِ فَخَشَينَا أَنْ يَرْهِقهُمَا طُغيَانًا وكُفرًا ﴾ [سورة الكهف الآية 80]، و ﴿ أَمَّا الجِدَارُ فكان لِغُلَامَينِ يَتِيمينِ فِي المدِينَةِ و كان تَحتَهُ كَنزٌ لهُما وكان أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبلُغَا أَشُدَّهُمَا و يَستَخرِجَا كَنزَهُمَا رَحمَةً من رَّبِّكَ ومَا فَعَلتُهُ عن أَمرِي ذالك تَأويلُ مَا لم تَسْطِعْ عليه صَبرًا ﴾ [سورة الكهف الآية 39][30]؛ من هنا تحل العقد دفعة واحدة في نهاية القصة ويعلمها المتلقي بعد أن علمها موسي، إذ كانت مكتومة على النظارة والبطل.

يتضح لنا أن القصة في القرآن الكريم لها خصائص فنية متنوعة في طريقة حبك العقدة، وكل هذا التنوع يحقق غرضها الديني عن طريق جمالية التصوير الذي يجعلها تقع في نفس المتلقي موقعا حسنا، ويصدقها العقله.

– **المرحلة الثالثة: الحل** وهو الذي « يشعر المتلقي فيه بالراحة، ويهدأ نشاطه، ويحدد موقفه من الشخصيات، ويشعر بنهاية الأحداث»[31]، وهنا يحدد موقفه من الشخصيات، وهي أسكن في انفعالاتها مع ترابطها بالمقدمة والعرض، لأن الحل يعلن عن نهاية الإثارة والتشويق، وامتلاك الشعور والوجدان، ويبرز الهدف المقصود من الأحداث التي دارت، لكي يصل المتتبع لأحداث القصة إلى ما يريد.

أما عنصر الزمان والمكان، فلا يعد من العناصر الأساسية في دراستنا لفنية القصة القرآنية، لأن القصة في القرآن ليست من باب التاريخ فقط، ولكنها للتربية والوعظ، فلا يذكر فيها الزمان ولا المكان إلا إذا تعلق بذكرهما فائدة أو غاية.[32]

ومجمل القول في عناصر القصة أن المقدمة هي التمهيد لفكرة القصة، وتبدأ بومضة، ثم تتابع أحداثها، أما العقدة فهي البؤرة التي تدور حولها أحداث القصة، ويليها بعد ذالك الحل منطقي لهذه العقدة وهو العنصر الأخير لمجريات الأحداث.

6 – الخصائص الفنية للقصص القرآني:

أولاً– جمالية الأسلوب والحوار في القصة القرآنية:

لقد عرض القرآن الكريم للأخلاق والدعوة إليها بأسلوب مباشر وغير المباشر، نكتفي هنا بالإشارة إلى الأسلوب غير المباشر، إذ أكثر القرآن منه في ثنايا القصة؛ فنجد أن القرآن الكريم بعد ذكره قصة من قصص السابقين بأسلوب حسن رائع، يهذب فيها النفوس، يعّقب عليها بطريقة تدعو القارئ إلى الاعتبار والاتعاظ، فمثلا: بعد أن ذكَرَ الله تعالى قصة لوط عليه السلام، وما حل بقومه من العذاب، نجد قول الله تعالى: ﴿ فأَخذتْهُمُ الصَّيْحَة مُشْرِقِينَ (73) فجَعَلْنا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطرْنا عَلَيْهِمْ حِجَارَة مِّن سِجِّيل (74) إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتوَسِّمِينَ ﴾ [سورة الحجر آية 73-74-75]. ذكر الطبري في كتابه جامع البيان في تفسير القرآن (14،84) بعد أن أخذت قوم لوط الصيحة في وقت الصباح، وأمطرهم بحجارة من سجّيل، يذكر الله تعالى بعد ذلك كله أن هلاك قوم لوط لعلامات ودلالات لأهل الفراسة والمعتبرين بعلامات الله، وعبرة على عواقب الأمور لمن عصاه وكفر به. ويعني الله تعالى ذكره بذلك قوم قريش، حيث يقص عليهم ما حلَّ بقوم لوط من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم، وإنها لعبرة للمتوسمون[33]. يتضح من القصة القرآنية أنها تحث على الأخلاق الحسنة والتحذير من الأخلاق السيئة بأسلوب غير المباشر.

ويعد عنصر الحوار « الأساس أو القاعدة التي بني عليه القصص في القرآن الكريم، ولا يكاد تخلو قصة من القرآن الكريم من عنصر الحوار، فهو منهج تربوي سليم سّنه الله عز وجل منذ خلق البشرية للوصول إلى الحقيقة.»[34]، وأسلوب الحوار يشكل العنصر الفني الاساسي والبارز في القصة

القرآنية، فهو أقصر السبل للوصول إلى الغرض، والسبيل الأمثل للاعتراف بالحق، فهو القائم على المناقشة، وإيراد البراهين المنطقية.

وقد اصطفى الله الأنبياء والرسل من بين خلقه، وألهمهم فصل الخطاب، وقد نقل لنا القرآن الكريم نماذج من حوارهم، منها الحوار الرائع الذي دار بين إبراهيم و قومه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبلُ وَكُنَا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلِ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفِونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الذِي فَطَرَهُنَ وَ أَنَا عَلَى ذَلِكَمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية 51 إلى 56] فقد خاطب إبراهيم أباه بأدب وحكمة بالغة وأسلوب راقي بين فيه الحجة الدامغة، وبطلان ما كانوا يدعون.[35]

ومن الحوار الفني في القصة القرآنية الحوار الداخلي الذي دار بين إبراهيم عليه السلام ونفسه حين كان يبحث عن الثبات بعد الهداية، فلما جن علية الليلة وهو يتأمل في خلق الله، حدث نفسه بما أراه الله من ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78)﴾ [سورة الأنعام آية 76-77-78] فهذا الحوار الداخلي قد زاد القصة فنية في عرض أحداثها، إذ جعلنا الأسلوب الحواري نتتبع تساؤلات سيدنا إبراهيم عليه السلام لنفسه، ونتيقن معه حين يجيب عنها بنفسه أيضاً.

ومن الحوار الفني الرائع أيضا الذي دار بين «إبراهيم عليه السلام والملك النمرود، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب»[36]، فبهت الذي كفر، وأذهلنا هذا الأسلوب في الحوار حين أظهر عجز النمرود وضعفه في الاجابة عن هذا السؤال.

ثانياً– عنصر التكرار: من الخصائص الفنية للقصص القرآنية التكرار، «فمن القصص ما يأتي مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف، ومنها ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة»[37]، فالقصة الواحدة تتكرر فيها عدة أحداث ومواضع، ويرى الباحثون « أن

هذه الظاهرة لا تعد تكرارا في الحقيقة، ولكنها صور للمواقف والمشاهد المختلفة لتأتلف فتنتظم منها قصة بأكملها»[38]، لأن هذا المتكرر لا يكون على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر، فالتكرار الذي نجده في بعض القصص القرآني يبرز جوانب أخرى لا يمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه النظم، وتكرار العبارة يؤدي وظائف حيوية، ويعطي صورة مقاربة للمشاهد، ويحمل في كل مرة بعضا من عناصر المشهد الكلي للقصة.

ثالثاً– الإثارة والتشويق:

القصة القرآنية لها أسلوب مشوق، وبدايات مفاجئة كما في سورة الفيل: [الآيات: من 1 إلى 5] التي ابتدأت بالاستفهام التقريري بما تواتر نقله وهو تساؤل مثير للاهتمام: ﴿أَلَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾ فالعرب كانوا يؤرخون بتلك الحادثة، ولكنهم لا يعرفون التفاصيل الحقيقية لها، وكان عنصر المفاجأة في ذكر نهاية القصة في بدايتها باستفهام تقريري أيضا ﴿ أَلَمْ يَجْعَل كَيدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ولفظ تضليل بمعنى تبرهم ودمرهم تدميرا، وما زال الاستفهام قائماً ولإثارة تشتد إلى أن نفاجأ بالإجابة في ثلاث آيات قصيرات مركزات: ﴿ وَأَرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ من سِجِيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ (5) ﴾ لقد صورت لنا هذه الآيات واقعة هلاك أصحاب الفيل، واختتمت بنهاية محكمة أشد الإحكام في سورة موجز، وقد ساقت من مظاهر قدرة الله ما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، وما يحمل الكافرين على الاهتداء إلى الحق.[39]

نجد قصة يوسف عليه السلام تصور لنا عن طريق العرض ألوان الإثارة، حيث تبدأ بالتشويق الذي بلغ أعلى درجات الإثارة، «ففي مستهل القصة وصف الله – جلت قدرته– القصص القرآني بأحسن القصص الذي يخرج الناس من غفلتهم، ثم انتقل للحديث عن الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام وهذا وحده يثير اهتمام القارئ والمستمع»[40]، فمن الرؤيا التي رآها يوسف ﴿ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمسَ والقَمَرَ رَأَيتُهُم لي سَاجِدِّينَ ﴾ [سورة يوسف الآية 4]، ثم مراودة الاخوة أباهم ليدفع لهم أخاهم ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية 12]، ثم قذفه في البئر وإدعاء أن الذئب قد أكله ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [سورة يوسف الآية 17]. هنا تبدوا النفس

مشدودة إلى مصير يوسف، فما الذي سيحدث له بعد ذالك؟ إلى أن يباع، ولمن؟ لعزيز مصر. والإثارة تشتد في معرفة مصير يوسف في هذا القصر العظيم، وتعلونا مظاهر الارتياح حين نسمع العزيز يقول لامرأته ﴿ أَكرِمِي مَثوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [سورة يوسف الآية 21][41]، وهكذا تتوالى التساؤلات، وتشتد الاثارة والتشويق في قصة يوسف، والتعبير القرآني يفاجئ المتلقي بالإجابة على تلك التساؤلات إلى أن تهدأ نفسه بتفسير الرؤيا المنامية الأولى ليوسف.

7- جمالية الأبعاد النفسية للألفاظ في القصص القرآني:

يمتاز أسلوب القصة القرآنية بالدقة في اختيار الكلمات التي تحمل دلالات نفسية عميقة، وتعبر عن أحداث وانفعالات كثيرة، « فهو أسلوب فريد في عرض الأحداث والوصول إلى الغاية بأقل الألفاظ وأغزر المعاني»[42]، ونلمس هذا في قصة موسى مع السحرة يقول الله تعالى ﴿ فَأَوجَسَ في نَفسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ [سورة طه الآية 67] وسر جمال التعبير أن الله تبارك وتعالى عبر بكلمة " أوجس" التي تفيد أن موسى و إن أحس بالخوف من فعل السحرة الذين هم من قوم فرعون إلا أنه أضمر ذلك في نفسه ولم يعلنه، إذ أنه لو أعلنه لأدى ذلك إلى حدوث الهلع والفزع في قوم موسى فإضمار موسى في نفسه الخوف إشفاقا على قومه[...] فقد أتبع المولى عز وجل هذا الموقف فقال عز من قال: ﴿ قُلنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعلَّى ﴾ [سورة طه الآية 78] حتى يثبت موسى، والتعبير بلفظ (الأعلى) فيها تعريض بفرعون، وسخرية من دعواه الباطلة، لأنه كان يعلن أمام قومه أنه هو الأعلى.[43]

أما عن قول الله عز وجل على لسان امرأة فرعون ﴿ وقَالَتْ امرَأَتُ فِرعَونَ قُرَّتُ عَينٍ لِي ولَكَ لاَ تَقتُلهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أو نَتّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [سورة القصص الآية 09] هو تصوير رائع وتعبير قرآني جميل، « إذ أن هذه العبارة التي صدرت من امرأة فرعون لها مدلولها النفسي الوثيق، وإيحاءاتها التي تمتد إلى أغوار المشاعر الانسانية»[44]، ومن ثم كانت كلماتها بردا وسلاما على قلبه لأن هذا الطفل الصغير سيصبح قرة عين له ولزوجته، وكانت هذه الكلمة كفيلة بأن يُثني فرعون عن عزمه، ويرجع عن قراره، حينذاك نرى فرعون وقد زالت منه شرارات البطش.

وجاءت في قصة موسي عليه السلام كلمة " تذودان " الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ووَجَدَّ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَينِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا

نَسْقِّي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيخٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة القصص الآية 23] فالكلمة تبين أن الفتاتين كانتا تحبسان أغنامهما وتمنعانهما من الاختلاط بأغنام أخرى في مورد الماء، فركبت هذه الكلمة في تخيلنا للمشهد دلالة الخوف الذي كان ينتاب الفتاتين من قومها، و صورت لنا حالتهم في الشدة وحب السيطرة وفرض القوة دون الالتفات إلى حاجة الآخرين للماء، و تبين لنا الحالة النفسية لموسى وتعجبه من الموقف، و شخصيته القوية وحبه لمساعدة الناس، ما جعله يسقي لهما عندما عرف القصة.[45]

ومن الصور النفسية في قصة موسي قوله تعالى ﴿ إِنِّي آنَستُ نَارًا ﴾ [سورة طه الآية 10] يبدو من هذه الآية أن نفسية موسى أو شعوره النفسي كان يتطلع إلى الدفء، ومن الثابت أنه في تلك الآونة كان الجو شاتيا مطيرا، وكان في حاجة إلى قبسة نار يستضيء بها، كما أنه كان في حاجة إلى أمل يتحقق، وهاد يهديه ويرشده، فكان موقد النار منقذ قوي لاسترضاء النفس، ولذالك صور لفظ (آنست) المشهد تمام التصوير، مشعا عن الأضواء النفسية التي آنست بتلك النار، وكشف لنا عن رغبته في الدف، كما في قوله:﴿لَّعَلِي أتِيكُم مِنهَا بِقَبَسٍ أو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[سورة طه الآية 10] فالأنس فيه بهجة، وارتياح نفسي، وعلى هذا كان التعبير القرآني رائعا في مدلوله، قويا في ألفاظه، صائبا كل الإصابة في تحقيق كل معنى نبيل وجوانب نفسية رائعة.[46] وتنقل القارئ إلى الجو النفسي الذي قيلت فيه تلك الألفاظ، ويشعر بأنه يعيش تلك الأجواء بالعواطف والانفعالات التي انتابت الشخصيات.[47]

كما أن التعبير القرآني المعجز يصور لنا السلوك الانفعالي للإنسان تصويرا كنائيا، مثل إبراز سيكولوجية الندم والحسرة، في قصة صاحب الجنتين حين أدركه عقاب الله، ويتضح هذا الانفعال من خلال قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ فَأَصبحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَّ خَاوِيَّةٌ علَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيتَنِي لمْ أُشرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ [سورة الكهف الآية 42] فمن هول الموقف وعظمة الحسرة قام بتقليب كفيه وصفق إحدى يديه على الأخرى، فهذه الحركة كناية عن انفعال الحسرة، ودلالة عن الندم جراء ما ضيعه في تلك الجنة، هذا يدل على أن التعبير القرآني يطال بلمسته البيانية أغوار النفس البشرية ليتحسس نتوءاتها الانفعالية، ويرسم لنا ملامحها.[48]

8- العرض الفني للقيم الاخلاقية في القصة القرآنية:

ورد في القصص القرآني ما يدل القيم الأخلاقية، وخاصة معاني الألفاظ الدالة على صفة من صفات الأخلاقية في أحداث القصة، وتتنوع دلالة الألفاظ في فنية عرضها كما يأتي:

– **الفنية الأولى**: أن تكون اللفظة الدالة على القيمة الأخلاقية في بداية الحدث فتذكر اللفظة في أولا الحدث، ثم تظهر لنا القيم الأخلاقية، ونتأكد منها في نهاية القصة؛ ومثال ما جاء في هذا النمط صفة (الكرم) التي تحلى بها عزيز مصر في قصة يوسف عليه السلام، وذكرت في أول الحدث، يقول الله تعالى: :﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [سورة يوسف، الآية 21]، فلفظة " أكرمي" دلت على صفة الكرم التي تتحلى بها شخصية العزيز، وقوله (أكرمي مثواه) أي: أكرمي منزله بما يليق بالطفل من المطعم والملبس والعناية، واجعلي منزلته في المقام الكريم، أملا منه أن ينفعهم ويكفيهم إذا بلغ أمورهم أو يتبنونه ويتخذونه ولدا؛ وما دل على كرم عزيز مصر مواقفه مع يوسف عليه السلام التي تظهر في أحداث القصة، إذ أنصفه حين غلقت زوجته على يوسف عليه السلام الأبواب وهمت به، فقد كان كريما به وأنصفه حين تبين له الحق، وقال لزوجته هذا من كيدكن إن كيدكن عظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [سورة يوسف، الآية 28]، ومن كرمه أيضا أن جعله على خزائن مصر يوزع على الناس الحنطة بالعدل، ولم يستغل أيام القحط والجفاف لمصلحته الشخصية أو لمملكته.

– **الفنية الثانية**: أن تكون اللفظة الدالة على القيمة الأخلاقية في نهاية الحدث، فتذكر القصة ثم تختم باللفظة التي تظهر لنا القيم الأخلاقية، ونتأكد منها؛ ومثال ما جاء في هذا النمط ما ذكر في قصة موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين فوجد عليه أناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين بعيدتين عن القوم، وكانتا تحبسان غنمهما عن الماء، فلما رآهما موسى عليه السلام حز في نفسه موقفهما، فقال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نستطيع أن نسقي في هذه الزحمة، وأبونا شيخ كبير، فتعجب موسي عليه السلام من الموقف، ما جعله يسقي لهما عندما عرف القصة، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة القصص، الآية 23]، فلما سقى لهما موسى عليه السلام تولى إلى ظل شجرة فاستظل بها، فجاءته إحدى المرأتين التين سقى لهما تسير على استحياء بعدما عادتا الى أبيهما وقصتا

عليه قصة الرجل الذي سقى لهما، فقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فمضى معها وقص على أبيها ما حدث له مع فرعون وقومه، وبعدها نعتته إحداهما بالقوي الأمين، كما في قول الله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [سورة القصص، الآية 26]، وهنا تُظهر لنا لفظة " القوي" في أخر الحدث قوة موسي عليه السلام التي رأيتها منه حين سقى لهما، فقالت لأبيها إن خير من تستأجره القويّ على الرعي والسقي، وحفظ الماشية، كما بينت لنا لفظة "الأمين" في أخر الحدث أمانة موسي عليه السلام التي رأيتها منه حين غض بصره عنهما، وتأدب معهما فقالت لأبيها إنه الأمين الذي لا تخاف من خيانته.

والمتلقي للقصة قد عرف في أخر الحدث من خلال لفظة (القوي الأمين) أنها الأخلاق التي يتصف بها موسى عليه السلام وشخصيته القوية والأمينة، وحبه لمساعدة الناس.

– **الفنية الثالث**: أن تفهم القيم الأخلاقية ضمنيا من أحدث القصة، فيستنبط من أحداث ووقائع القصة ما تدل علي القيم الأخلاقية، وهذه الطريقة الفنية في عرض أحداث القصة تجعل المتلقي يفهم أنه عليه محاكاة هذا السلوك الأخلاقي؛ ومثال ما جاء في هذا النمط ما نستنبطه من قصة ذو القرنين عليه السلام، وما تحلى به من الأخلاق الحميدة، وحب الخير للناس حين مكنه الله في الأرض، فاتبع سببا حتى بلغ مغرب الشمس ومطلعها، وكان ينشر العدل في الأرض، ثم اتبع سببا حتى بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما مستضعفين، قالوا له إن قوم يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك أجراً، ونجمع لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم ردما وحاجزا يحول بيننا وبينهم، يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) ﴾ [سورة الكهف، الآية 93-94]، وكان طلبهم هذا حين عرفوا أن الرجل مصلح، وتوسموا فيه حب الخير ومساعدة الناس، وقد صدقوا فيما توقعوا منه، إذ جاء رده إنّ الذي أعطاني اللّه من الملك والتمكين خيرٌ لي من الذي تجمعونه لي من العطاء، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [سورة الكهف، الآية 95]، وهكذا نفهم ضمنياً من الآيات أن ذا القرنين

يتحلى بقيم أخلاقية عالية، والشاهد في الآية أنه طلب منهم المساعدة بالقوة ليجعل ينهم وبين القوم المفسدون في الأرض سداً.

9- نتائج الدراسة:

- يبين الله عز وجل بأسلوب قصصي لرسوله صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من القرآن النموذج الإنساني، ويبين له بالتصوير الفني للقصة ما كان غافلا عنه من قبل.

- جاءت القصة في القرآن الكريم لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من المؤمنين، ولها أهمية كبيرة في بناء شخصية الفرد والمجتمع، وتنشئة الأفراد وتربيتهم.

- تنقسم القصة القرآنية إلى عدة أنواع منها: قصص الأنبياء - قصص قرآنية تتضمن أحداث غابرة- قصص وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - القصة الغيبية.

- تتميز القصة القرآنية عن القصة الأدبية في عناصرها الفنية، ويتجلى ذلك في تنويع بداياتها، وطريقة رسم شخصياتها، كما تتميز عنها في طريقة عرض أحداثها، وعرض العبر والوعظ في حلولها.

- من جوانب الإعجاز في القصص القرآني ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من جمالية في الأسلوب والحوار.

- ترقى الإثارة والتشويق في القصص القرآني بخيال المتلقي إلى التصوير الحي لهذه المشاهد التي بينها العزيز العليم أحسن البيان.

- يتضح لنا أن القصة في القرآن الكريم رغم تنوعها في العرض، واختلاف طريقة حبك عقدها، فإنها تبقى أحداثه طبيعية ومنطقية، يألفها الإنسان ولا يمل منها.

- من إعجاز القصص القرآني ما يتعلق بالبعد النفسي لألفاظه من أجل إظهار خفايا النفس الإنسانية، وصفاتها، والقيم الأخلاقية التي تتحلى بها.

- التنويع في العرض الفني للقصة في القرآن الكريم يحقق غرضها الديني، ونقل القيم الأخلاقية.

الخاتمة:

نخلص في هذه الدراسة أن القصص في القرآن من أساليب الوعظ للعالمين، إذ يعرض مشاهد خالدة ويقدم صور فنية مثيرة تلفت النظر بعدد قليل من الألفاظ والكلمات، وتنويع القرآن الكريم في طريقة عرض مشاهد القصة تجعل الناظر والمتلقي يعايش هذا القصص معايشة صادقة، حتى

كأنه يشارك الشخصيات في أحداث القصة، ويتلقى معهم نفس الشعور، كما أنه ينوع في طريق حبك العقدة والمفاجأة في كشف أسرار القصة، إذ يجعل المتلقي يتعظ من القصة، وبالتالي تؤدي غرضها الفني والديني معا.

ورغم كثرة البحوث في هذا المجال، فنحن دائما في احتياج إلى مزيد من تلك الدراسات التي تفسر لنا أسرار هذا القصص في القرآن، وتكشف لنا دلالته الدينية، وجمالية بيانه وفنه، وقوة معانيه.

الهوامش:

[1] زهراء أحمد عثمان الصادق: القيم التربوية في القصص القرآني، رسالة دكتوراه الفلسفة في أصول التربية، جامعة الخرطوم، السودان 2009، ص 76

[2] ينظر: نفس المرجع، ص 77

[3] عبد الرحمن داود جميل عبد الله: منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير في أصول الدين، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2010، ص 14.

[4] عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في القصص القرآني، دار المأمون للتراث (دمشق)، الطبعة الاولى، 1993، ص 16

[5] ينظر: نفس المرجع، ص 17

[6] نفس المرجع: ص 18

[7] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق (القاهرة)، الطبعة الثالثة، 2013، ص 37

[8] عبد الرحيم أيت عبد المالك: الجوانب التربوية في قصة نوح عليه السلام، رسالة ماجستير في التقسير وعلوم القرآن ، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، 2015 ، ص 17.

[9] ينظر: نفس المرجع، نفس الصفحة

[10] منار عمر درويش الحلو: آداب التعامل في ضوء القصص القرآني، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية (غزة)،2011، ص 03

[11] عبد الرحمن: منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، مرجع سابق، ص 14.

[12] ينظر: نفس المرجع، نفس الصفحة

[13] عبد الرحيم أيت عبد المالك: الجوانب التربوية في قصة نوح عليه السلام، المرجع السابق، ص 18

[14] ينظر: اسلام محمد دربالة: القصص في القرآن الكريم، مكتبة نور الإلكترونية، https://www.noor-book.com ، نظر: 22 / 09 / 2019

[15] زهراء أحمد الصادق، القيم التربوية في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 79

[16] ينظر: منار عمر درويش الحلو، آداب التعامل في ضوء القصص القرآني، مرجع سابق، ص 05

[17] جاسم محمد عبد السلامي: طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (الأردن)، 2011، ص 25.

[18] حسن عباس فضل: قصص القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، (الأردن)، الطبعة الثالثة، 2010 ، ص 121

[19] حسام العيسوي إبراهيم: التربية في القصص القرآني، الشبكة الالكترونية الألوكة www.alukah.net ، نشر 26 أكتوبر 2011، ص 21.

[20] حسن عباس فضل، قصص القرآن الكريم، المرجع السبق، ص 132

[21] ينظر: حسام العيسوي إبراهيم، التربية في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 21.

[22] جاسم محمد عبد السلامي، طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، المرجع السابق، ص 108

[23] ينظر: مفسر بن أحمد بن مفسر آل عاطف الوادعي: معايير الأسلوب في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في تدريس التربية الاسلامية في الصفوف العليا بالمرحلة الابتدائية بمدينة أبها، رسالة ماجستير في مناهج التربية الاسلامية، جامعة أم القرى، (المملكة العربية السعودية)، 2007، ص 88

[24] جاسم عبد السلامي، طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، المرجع السابق، ص 108

[25] مفسر بن أحمد، معايير الأسلوب في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في تدريس التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص 84

[26] مفسر بن أحمد بن مفسر، نفس المرجع، ص 92

[27] نفس المرجع، نفس الصفحة

[28] ينظر: جاسم عبد السلامي، طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، المرجع السابق، ص 110

[29] ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 185

[30] نفس المرجع، ص 186

[31] مفسر بن أحمد: معايير الأسلوب في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في تدريس التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص 93

[32] ينظر: محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، دار المنار ،الطبعة الثانية، 1997، ص 10

[33] ينظر:عبد الرحمن داود جميل: منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، المرجع السابق، ص 22

[34] صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوما وأسلوبا، المجلة الجامعة، العدد 11، 2009، ص 50

[35] ينظر: صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوما وأسلوبا، المرجع السابق، ص 51

[36] نفس المرجع، ص 52

[37] اسلام محمد دربالة: القصص في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص04

[38] محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، المرجع السابق، ص 11

[39] ينظر:محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، الجزء الأول، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (1996)

[40] صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوما وأسلوبا، المرجع السابق، ص 62

[41] ينظر: عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 101

[42] صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوما وأسلوبا، المرجع السابق، ص 61

[43] ينظر: عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 200

[44] نفس المرجع، ص 201

[45] ينظر: صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوما وأسلوبا، المرجع السابق، ص 62

[46] ينظر: عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في القصص القرآني، المرجع السابق، ص 203

[47] نور الدين دحماني: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، (الجزائر)، 2012، ص 383

[48] نفس المرجع، ص 380